إسرائيل ولبنان .. الحرب المستمرة

الصحفي البريطاني روبرت فيسك يكتب عن ويلات

كان نقل الأخبار من لبنان أولاً خلال الغزو الأسرائيلي الأول عام ١٩٧٨م ثم عام ١٩٨٢م تجربة جديدة ومقلقة للاسرائيليين فقد انتهى احتكارهم للحقيقة

الصحفي البريطاني روبرت فيسك واحد من أبرز المراسلين الصحفيين في الشرق الأوسط وحائز على أكبر عدد من الجوائز البريطانية الكبرى عن مقالاته حول قضايا الصراع في المنطقة ، وكان من بين اربعة صحفيين ظلوا في لبنان اثناء سنوات الحرب الاهلية والتي كانت بدايتها من عام ١٩٧٥م حتى عام ١٩٩٠م.

في تاريخ الصراع العربي- الاسرائيلي ، والحرب المستمرة على لبنان قدمت كتابات روبرت فيسك شاهدة تاريخية عن القوة المدمرة والمرعبة التي تستخدمها دولة الصهاينة كلما غزت هذا البلد محاولة تدميره وسحقه من جغرافية المنطقة ، وفي هذا الجانب قدم كتابه المرجعي " ويلات وطن - صراعات الشرق الأوسط وحرب لبنان " والذي يعد من الاسهامات الغربية التي وضحت الصورة الحقيقة لسياسة اسرائيل في مد مشروعها التوسعي عبر تجاوز الحدود والذهاب نحو العمق ورسم فرضيات جديدة على أرض الواقع حتى تصبح هي الحدود المعترف بها لسيادة دولة اسرائيل .

إن انهيار الصورة الانسانية لاسرائيل لحظة مدمرة في تاريخها فقد كان لأخبار حصار بيروت الغربية والتي يظهر فيها جيش في غاية القوة وهو يقصف مناطق مدنية تأثير لايوصف في الغرب.

ذلك ماتقوله لنا كتابات روبرت فيسك في أعماله ، وحرب اسرائيل على لبنان هي من الازمات المتصاعدة في المنطقة العربية ، بعد أن اصبح هذا البلد الخط الأول في جبهة الانفجار المستمر والساحة التي تلقي بها دولة صهيون كل ماتملك من قوة تدميرية لخلق مشروعها القادم، الشرق الاوسط .

١٩٨٢م الجيش الاسرائيلي يغزو لبنان إثر محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن ووفقا لخطة وضعها أرييل شارون وزير الدفاع

نجمي عبدالمجيد

اسرائيل ووهم الانتصار في لبنان

يذكر الصحافي روبرت فيسك في كتابه ، عن هذه الرغبة التي سعت اسرائيل إلى فرضها على أرض لبنان حتى تخلق حالة قناعة عند الطرف الاخر بما هو قائم :(كانت ثقة الاسرائيليين بانفسهم وهم في لبنان تفوق كل حد.إذ أقاموا جهاز إرسال بالقرب من منطقة عالية لنقل برامج التلفزيون الاسرائيلي إلى بيروت . وفتحوا كذلك فروعاً متنقلة لبنك لومي الاسرائيلي في منطقة الشوف وفي بيروت الشرقية وذلك لتبديل العملة اللبنانية بالشاكل الاسرائيلي لمن يرغب في ذلك من اللبنا نيين . وفي صيدا تمكنوا من اقناع وكيل سفر لبناني بأن يكون وكيلاً أيضاً لطائرات العال الاسرائيلية . وعندما زعزعت هجمات المقاتلين هذا الهدوء عمد الاسرائيليون إلى الرد عليها بوحشية . فانتقموا لكمين عالية بغارة جوية على بطارية صواريخ سورية منصوبة على منحدرات ظهر البيدر . وفي اعقاب كمين آخر نصب لهم على طريق صيدا القديمة، أحضروا دبابة ميركافا من خلدة، وقصفوا المبنى الذي زعموا أن الرصاص انطلق منه . وانفجرت أول رشقة من القذائف في مطبخ أحد المنازل وقطعت رأس والدة عقيد في الجيش اللبناني . ومن الطريق ذاتها اطلقت دوريات المشاة الاسرائيلين النار على المنازل والغابات والاشجار حولهم مما أدى إلى قتل وجرح عدد من ربات البيوت والمزارعين وقاطفي الفواكه. وكادت رشقات رصاصهم أن تصيب مراكز المارينز مما جعل الكولونيل ميد يقدم سلسلة من الشكاوى الرسمية وأعلن أمامنا " أن اساليبهم القتالية غير فعالة ولايتبعها المحترفون " وأضاف قائلاً لنا بصورة خاصة :" يظن الاسرائيليون انهم على جانب كبير من المهارة ، ولكنهم جيش من الدرجة الرابعة يقاتلون جيشاً من الدرجة السابعة."

على أنه كان من الواضح أن جيش الدرجة السابعة – سواء أكان مؤلفاً من المسلمين اللبنانيين أم من الفلسطينيين – أخذ يتحدى الاسرائيليين . وتجلت آثار هذا التحدي بوضوح في أعمدة الصحف الاسرائيلية التي لم تعد تشير إلى لبنان بوصفه بلداً يجري تحريره ، أو بلداً سيصبح حليفاً في المستقبل ، بل كمستنقع ومكان بلا مبدأ وناكر للجميل . فأخذت افتتاحيات الصحف الاسرائيلية ، تشكو من أن الكتائب حملت الاسرائيلين عبء القتال حول بيروت. وأشارت إلى أن الكتائب لطخت سمعة اسرائيل باقترافها مجازر صبرا وشاتيلا، ونادراً مالام الاسرائيليون أنفسهم في هذه الفترة المبكرة من احتلالهم للبنان على المأزق الذي وجدوا أنفسهم فيه. فأخذوا يعلنون في المؤتمرات الصحفية وفي بياناتهم أنهم يقومون بدور رجال الشرطة وحتى بدور " المحافظين على السلام " في منطقة الشوف . وعليه فقد صار من المفروض أن يكون في لبنان جماعتان تقومان بالمحافظة على السلام، وهما القوة المتعددة الجنسيات في بيروت ، والاسرائيليون في الشوف . ورفض المسلمون اللبنانيون تحديد الوضع على تلك الصورة رغم أن وجود الاسرائيليين إلى جانب القوة كان خطراً عليها.

إن انهيار الصور الإنسانية لاسرائيل لحظة مدمرة في تاريخها فقد كان لأخبار حصار بيروت الغربية والتي يظهر فيها جيش في غاية القوة وهو يقصف مناطق مدنية تأثير لايوصف في الغرب

ووقع الزلزال الأول الذي ضرب الاسرائيليين في مدينة صور التي استولوا عليها من خلال الأيام الأولى للغزو ، وأقاموا مقرهم في مبنى يتألف من ثمانية أدوار ، ويقع إلى الشمال تماماً من تقاطع الطريق الرئيسي مع طريق الميناء . وكان المبنى كالمباني الأخرى التي انهارت على رؤوس من فيها ، ويضم غرف عمليات ، ومساكن للجنود ووحدة من رجال المخابرات شين-بت، بالاضافة إلى عدد من المساجين اللبنانيين والفلسطينيين الذين كانوا ينتظرون استجوابهم . وفي ١١ نوفمبر ١٩٨٢م دوى انفجار هائل قوض المبنى واسقطه على الأرض في أقل من عشر ثوان).

لبنان والحروب المستمرة

الحروب في لبنان ، متعدد الاسباب والأهداف . منها ماجاء بفعل عوامل خارجية استغلت ومقاومة شديدة من المسلمين الشيعة ضد الجيش الاسرائيلي المحتل في جنوب لبنان.

١٩٨٥م: الجيش الاسرائيلي يقدم على الانسحاب من صيدا واسرائيل تنفذ سياسة القبضة الحديدية وتستخدم القمع العسكري ضد المقاومين من قرى جنوب لبنان .

استغلال الطائفية من أجل تقسيم لبنان

المراقب لتاريخ الصراع الاسرائيلي مع لبنان يدرك إلى أي حد تستغل دولة الصهاينة هذا التوثر في الجسد اللبناني من أجل فرض مشاريع التقسيم والتوسع المنطلقة من سياستها العدوانية تجاه العالم العربي .

ولبنان أكثر البلدان العربية التي عانت من الطائفية وحروبها المدمرة ، وحول هذه الحالة الخطرة يقول الباحث جمال الألفي :(لقد ظل النظام الطائفي مستمراً في العهد العثماني ، والفرنسي ، فقد تم وضع أول دستور للبنان ، عام ١٩٣٦م، وكان وقتها لايزال تحت وصاية فرنسا ، في هذا الدستور تم وضع مادتين احداهما تعطل الأخرى .

غير أن النتيجة في الحالتين كانت واحدة تشير إلى تأكيد الطائفية.

بينما كانت المادة ٩٩ تتحدث عن فترة انتقالية مؤقتة لتذويب الفوارق التي كرسها الاستعمار بين الطوائف اللبنانية ، كانت المادة ٩٥ من نفس الدستور الذي وضعه الفرنسيون تعمل على ترسيخ الفوارق الطائفية.

لقد جرت ثلاث محاولات لتعديل الدستور، قبل وبعد الاستقلال ، غير أن أحداً لم يقترب من المادة ٩٥ التي تكرس القسمة الطائفية اللبنانية .

حتى الميثاق الوطني ، والذي هو أعلى من كل دساتير لبنان ، لايميز هذا الميثاق إلا أنه يوزع المناصب السياسية والمغانم الدنيوية على أساس طائفي ابتدعه الموارنة ، لتأكيد امتيازاتهم على حساب بقية الطوائف اللبنانية .

بموجب هذا الميثاق غير المكتوب ، تم تقسيم السلطة في لبنان ، حصل بموجبه الصفوة من الموارنة على نصيب الاسد، رافعين شعاراً يقول بأنه لابد من تطمين الموارنة الذي يعيشون في بحيرة عربية اسلامية.. وبرغم أن اصواتاً كثيرة أكثر تعقلاً من داخل الطائفة نفسها ، كانت تحذر طوال الوقت من خطر استمرار الموارنة كأقلية مهيمنة ، محمية من الخارج ، فإن أحداً من قادة الموارنة لم يكن يستمع إلى نصيحة حتى من داخلهم ، وكانت سياسة الموارنة قد ظهرت بجلاء أكثر بعد الاستقلال ، عندما اختصوا لانفسهم ، دون غيرهم حتى من داخل الطوائف المسيحية الأخرى بالوظائف العليا وذات الحساسية الخاصة في الدولة الجديدة).

في دوامة الحرب الأهلية التي احرقت الكثير ودمرت الأكثر بهذا البلد الحالم، جاء اغتيال كمال جنبلاط بتاريخ ١٦-يناير عام ١٩٧٧م: كبداية ونذير بما سيحدث من تصاعد في تلك الحرب التي كانت الطائفية احدى اسبابها فقد كان يجله بعض اليسار بين الاوروبيين بوصفه فيلسوفاً اشتراكياً كما يذكر الصحفي روبرت فيسك ، فقد برهن من جانب أخر من أشد المشاركين في تلك الحرب صلابة من أجل إحراز الانتصار العسكري على الكتائبيين ، وفي احدى الأيام المرعبة من القتال الذي دار في بيروت قتل عشرات المدنيين بفعل القصف العشوائي من الجانبين.

وعن مقتل هذا الزعيم من الدروز يقول روبرت فيسك : (بينما كان جنبلاط عائداً بسيارته مع حرسه من المختارة وقبل أن يصل بعقلين لحقت بسيارته ليموزين فيها على الأقل مسلحان . وكان عندئذ يجلس في المقعد الخلفي يقرأ جريدة النهار فأصابت الطلقات الأولى رأسه وسقط القسم الأكبر من مخه على الجريدة.

وتلت ذلك أعمال قتل قا سية . فقد قام الدروز بقتل عدد من أهالي القرى المجاورة من المسيحيين في بيوتهم وذبحوا بعضهم . واتهم البعض عملاء السوريين بقتله. لكن السوريين نفوا ذلك).

الاعلام يكشف الحقائق

ظلت المؤسسات الاعلامية الصهيونية هي من يسيطر على حقائق الاحداث ولاتقدم إلا مايجعل من اسرائيل الدولة التي تدافع عن الحرية والتقدم في وسط عربي متوحش ومجنون ، غير هذه الصورة الكاذبة سقطت عندما شاهد العالم جرائم اسرائيل.

وكان نقل الاخبار من لبنان أولاً خلال الغزو الاسرائيلي الأول عام ١٩٧٨م ثم في عام ١٩٨٢م تجربة جديدة وكذلك مقلقة للاسرائيليين ، وكما يشير روبرت فيسك ، فقد انتهى احتكارهم للحقيقة ورفض الصحفيون كل البلاغات الرسمية بعد أن شاهدوا معاناة المدنيين من جراء القصف دون تمييز .

إن ماقدمه لنا روبرت فيسك عن لبنان والحرب والمشاريع اليهودية لضربه وتقسيمه إلى دويلات أو حتى اقامه دولة تابعة لاسرائيل ، تظل ذاكرة لمرحلة من تاريخ الصراع في الشرق الأوسط، ودور الاعلام ورجال الصحافة في البحث عن ماجرى، هو جزء من سلاح المعركة وحق المواجهة التي تسعى اسرائيل لجعلها أحادية الجانب في هذا الصراع.

الصحفي روبرت فيسك

المراجع:

١- ويلات وطن
صراعات الشرق الأوسط وحرب لبنان
تأليف : روبرت فيسك
صادر : عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت.
الطبعة الأولى : ١٩٩٠م.
٢-الطائفية والحكم في لبنان
تأليف : جمال الألفي
كتاب الهلال العدد ٣٩٨
الطبعة الأولى : فبراير ١٩٨٤م.
٣-الموسوعة السياسية التاريخية ١٩٠٠-٢٠٠٢م
مجموعة من المؤلفين
تعريب : أياد ملحم

١٩٧٦م: تصاعد حدة الحرب. المسيحيون يذبحون عدداً من الفلسطينيين في الكرنتينا وتل الزعتر ، الفلسطينيون يذبحون سكان الدامور المسيحيين . وقد دعى الرئيس اللبناني سليمان فرنجية سوريا للتدخل من أجل وقف القتال العنيف ، وقد دخلت القوات السورية جميع مناطق لبنان ماعدا الجنوب.

١٩٧٨م: اجتاحت القوات الاسرائيلية جنوبي لبنان اثر مقتل مدنيين اسرائيليين في هجوم للفدائيين الفلسطينيين .

١٩٨٠-١٩٨١م: تزايد عدد العمليات العسكرية بين اسرائيل والمليشيات التي كانت موالية لها وبين منظمة التحرير الفلسطينية في جنوب لبنان.

٦-يناير-١٩٨٢م: الجيش الاسرائيلي يجتاح لبنان إثر محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي في لندت وفقاً لخطة أعدها اريل شارون ، وفي نفس العام اغتيال الرئيس اللبناني بشير الجميل بعد خروج القوات متعددة الجنسيات ، ووقوع مجزرة صبرا وشاتيلا.

١٩٨٣م: تفجير السفارة الاميركية في بيروت اثناء عملية انتحارية يقوم بها أحد رجال منظمة الجهاد الاسلامي.

١٩٨٤م: القوات متعددة الجنسيات تخرج من بيروت بعد انهيار الجيش الرسمي للبنان،